**المجامع الأدبية القديمة (الكامل للمبرد- البيان والتبيين للجاحظ – العقد الفريد لابن عبد ربه )**

**المحاضرة :**

تعتبر المصادر الأدبية الأساس الذي يستمد منه الباحث مادة بحثه ويأخذ عنها الكثير من الأفكار ويقتبس منها أثار المعرفة الإنسانية ، فبواسطة هذه المصادر نقف على أراء الأقدمين والمحدثين المعاصرين ومنها نأخذ كلما نرى من أفكار الدارسين والباحثين ، وفي مقدمة كتاب د"محمد عبد المنعم خفاجي " – البحوث الأدبية مناهجها ومصادرها – إن المصادر الأدبية هي الثمرة الناضجة التي يقطف منها العالم والمتعلم كل ما يشاءان .

**1- الكامل في اللغة والأدب للمبرد :** يعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا للتراث العربي ،سواء كان ذلك في مادته النحوية أو اللغوية ، وقد اعترف الباحثون القدماء أنفسهم بأهمية هذا الكتاب فعده ابن خلدون في مقدمته ضمن أربعة كتب أساسية في البحث وهي : أدب الكاتب لابن قتيبية ، والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ ، والنوادر لأبي علي القالي . وقد قدم المبرد لكتابه بمقدمة موجودة ، ولكنها توضح على وجه التحديد مادة الكتاب والغرض من تأليفه ، على وجه التحديد مادة الكتاب والغرض من تأليفه ، فقد قال :" هذا كتاب ألفناه ، يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منشور وشعر موصوف ، ومثل سائر وموعظة بالغة ، واختيار من حطبة شريفة ، ورسالة بليغة ، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب ، او معنى مستغلق ، وان نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا وافيا ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا ...." المبرد الكامل ، ص 21 .

وكل هذا يدفعنا إلى القول بان كتاب المبرد موسوعة لغوية ونحوية وليس مجرد شرح لنصوص أتى بها الكاتب وبذلك نكون قد اقتربنا من منهج الكتاب ، فهو يأتي بالنص كان يكون حديثا – كما فعل في أول الكتاب – ثم يأخذ في شرحه لغويا ونحويا مستشهدا في ذلك بروائع من الشعر والنثر فإذا فرغ من ذلك قدم نصا أخر كان يكون خطبة أو رسالة مشهورة لأحد الخلفاء أو الحكام . ويمكننا القول أن المبرد قد بين ثلاث قضايا نقدية اهتمت بها كتب البلاغة والنقد وقتلتها بحثا ، وهي قضية اللفظ والمعنى وقضية الجديد والقديم وقضية السرقات الشعرية ، وفضلا عن ذلك فان الكتاب يحتوي على قدر كبير من أدب الخوارج ، وذكر طرائف نوادرهم وقصصهم وأشعارهم . ويؤخذ على المبرد انه كثيرا ما يروي إخباره دون أسانيد ، إذ كثيرا ما يقول "سمعت بغير وجه ، وسمعت على غير وجه " ، وهذا يشير إلى تحفظه في الإسناد إذا لم يكن يعرفه على وجه الدقة ، فقد تميز باعترافه بالخطأ إذا أدرك انه قد خطا ، وبذلك يكون المبرد قد وضع مبدأ اعتراف العلماء بخطئهم .

**2- البيان والتبيين للجاحظ :** يمكننا إن نقول بإيجاز إن الجاحظ نظر إلى وظيفة التأليف الأدبي من زاوية أخرى خلاف تلك التي نظر منها كتاب عصره ،فليست وظيفة الكتاب عنده مجرد إفراغ مزيج من المعلومات التي تدل على ثقافة الكاتب ، لكي يثقف بها القارئ ، بل تمثل وظيفتها – بصفة أساسية- في الكشف عن شخصية الكاتب وفلسفته اللغوية أو الكلامية او الأدبية من ناحية ، ثم في التعبير عن موقفه إزاء أنماط من السلوك البشري في ضوء الحياة الاجتماعية التي يعيشها أهل عصره من ناحية أخرى ، ونضيف إلى ذلك وظيفة أخرى ، وهي إمتاع القارئ بالأسلوب الفكاهي والنوادر الطريفة وبذلك ندرك إلى أي حد استطاع الجاحظ أن يطور الكتابة الأدبية في عصره من ناحيتين أسلوبهما وهدفهما . ويرجع الدافع إلى تأليفه كتاب البيان والتبيين إلى احد أمرين أو ربما إليهما معا ، أما الأمر الأول فهو إن الجاحظ لم يكن يعلم حتى زمن تأليف هذا الكتاب ، وقد اختص البيان العربي يبحث شامل يبين فيه طاقات اللغة العربية في مجال التغيير ، وفي مجال إقناع المستمع عن طريق المناظرة والخطابة ، وهما اللونان الأدبيان اللذان كان يمارسان في بيئة البصرة ، أما الدافع الثاني إلى تأليف الكتاب فهو الرد على الشعوبية الذين كانوا يعيبون على الحرب خطبهم وتقاليدهم في إلقاء تلك الخطب ، ومنها الإمساك بالعصا وقد نص الجاحظ في أكثر من موضع من الكتاب على انه قد نصب نفسه مدافعا عن فصاحة العرب ،داحضا بذلك اتهامات الشعوبيين .

والموضوع الرئيسي في هذا الكتاب هو البيان حيث تحدث فيه عن نعمة فصاحة اللسان ثم انتقل إلى الخطابة وتحدث عن عيوب اللسان مشيرا في ذلك إلى الخطب والخطباء ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن البلاغة في الشعر وفي اللسان ، وفي الصمت مقدما نماذج كثيرة من الحديث النبوي الشريف والخطب والحكم والألغاز ولا تفوت الجاحظ في كل هذا فكاهته التي عرفت عنه ، وهي تبدو جلية في أثناء حديثه عن نوادر الحمقى والمجانين فالكتاب على هذا النحو تدور مادته بدون شك حول الفصاحة والبلاغة .

**3- العقد الفريد لابن عبد ربه :** كان لكتب المختارات الأدبية التي الفت في الشرق الإسلامي صداها في المغرب الإسلامي فقراها أدباء المغرب واستوعبها ،وحذروا حذوها ، وكان أكثر ما يمثل هذا الأخذ والعطاء ابن عبد ربه في كتبه العقد الفريد وقد سمى كتابه بالعقد وهي تسمية تنطبق تماما على منهج تأليف فقد تصور موضوعات كتابه الخمسة والعشرين متراصة في شكل عقد يحتوي على خمس وعشرين جوهرة ، ويقابل واسطة العقد واسطة الموضوعات وهي "كتاب الواسطة في الخطب " ، وعلى جانبي الواسطة تتراص اثنتي عشر جوهرة في جانب ، تماثلها في النوع والحجم اثنتي عشر جوهرة على الجانب الآخر ولا احد ينكر على ابن عبد ربه تفرده في هذا النظام أللذي يدل على ابتكار من وحي شاعر ولكن لا يمكن لأحد إن يدعي انه قد انفرد بهذه الموضوعات ، ومما لاشك فيه إن كتاب العقد الفريد يعد مصدرا مهما من مصادر التراث العربي ، لا يقبل قيمة عن الكتب التي سبقته ، بل انه حقا يتميز عنها بوفرة المادة التي أسقاها من مصادر عدة ، بتنوع الموضوعات وعل كل فان عبد ربه لم يستفد من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبية وحده ، بل استفاد من سائر عيون الكتب التي قد ظهرت في المشرق ووصلت إلى المغرب .